ابراهيم خليل

أوضاع العراق السياسية في عهد السلطان الجلائري

١٣٨٢ - ١٤١٠

مبررات البحث : —

ينصرف هذا البحث الى دراسة اوضاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري « ١٣٨٢ — ١٤١٠ » وقد اخترت هذا الموضوع لاعتقادي ان هذا النوع من الدراسات لم ينل الاهتمام الكافي بعد ، خاصة وان هناك من اشار الى اهمال الباحثين لهذه الفترات التاريخية ذات الصلة المباشرة بتاريخنا المعاصر بحجة انها مظلمة لم تتوفر مصادر دراستها خصوصاً تلك الفترات التي اعقبت انهيار الفكر العربي بعد سقوط بغداد بيد المغول وما اعقب ذلك من فترات جلائرية وتركمانية وصفوية وبدايات الحكم العثماني للعراق (١) فأن البحث التالي محاولة متواضعة في هذا المجال .

(١) انظر : فاخر عبدالرزاق المناع ، المنهجية العلمية في دراسة التاريخ العربي ، مجلة افاق عربية السنة (١) العدد (١٢) آب / ١٩٧٦ .

تمهيد : —

شهدت بغداد منذ سقوطها على يد هولاكو سنة / ١٢٥٨ م ترديا في اوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٢) . ولم تسترجع اهميتها كمركز سياسي الا بعد مجيء الجلائريين اليها .(٣) فقد اتخذها حسن بزرك ابن ايلكان نويان المعروف بالشيخ(٤)حسن جلائر عاصمة له بعد ان ساهم في سلسلة الصراعات الاسرية التي نشبت بين افراد العائلة الحاكمة الايلخانية اثر وفاة الخان ابو سعيد سنة ١٣٣٦ (٥) .

كان الشيخ حسن جلائر يتطلع الى الحكم منذ زمن بعيد ، ويظهر انه وجد في موت ابي سعيد فرصته ، ولكنه شعر بأن التنافس كان قوياً في مركز الدولة . ولمالم يكن لحسن جلائر قبل بذلك التنافس اضطر الى البحث عن ميدان آخر يبرز فيه مواهبه ويحقق طموحاته . ولم يكن ذلك الميدان سوى بغداد ، خاصة وان الظروف الموضوعية كانت تساعد على ذلك .

---

(٢) للتفاصيل عن أوضاع العراق في الفترة التي سبقت الغزو المغولي وخلال مراحل الغزو انظر : جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الا يلخانيين ، ط١ (بغداد ، ١٩٦٨) وكذلك حافظ أحمد حمدي ، الشرق الاسلامي بعد الغزو المغولي (القاهرة — لا .ت)

(٣) قبيلة جلا ئر ، مغولية الاصل ، استوطنت ضفاف نهر جيحون .للتفاصيل انظر : مكرمين خليل دائرة المعارف الاسلامية الطبعة (التركية)ج٣ ، مادة (جلا ئر) ص ٦٤ —٦٥)

(٤) لقب شيخ يدل على رغبة الأمراء الجلا ئريين في اضفاء مسحة دينية على أنفسهم ، أو للحصول على ولاء رجال الدين في العراق وايران .ويذكر الباحث نوري عبدالحميد خليل في رسالته للماجستير الموسومة « العراق في العهد الجلائري «١٣٣٧ — ١٤١١» والمقدمة إلى جامعة بغداد وهي غير منشور ص ١٦٥ إلا أنه لم يجد مايشير إلى تعصب سلا طين آل جلائر لمذهب من المذاهب الاسلا مية ، بل أنهم اظهروا تسامحاً مع الجميع . وابدى الجلا ئريون اهتماماً شديداً بالمراقد المقدسة جعل كثير من الباحثين ومنهم شرين بياتي في كتابه بالفارسية (تاريخ ال جلائر)ص ٢٣٦ ينعتون هذه الدوله بالتشيع ولا يوجد أي دليل يدعم هذا الرأي. وقد صادف قيام الدولة الجلائرية نشاط التشيع في العراق .ولكن سياسة التسامح أدت إلى نشاط الصراع المحلي بين الشيعة والسنة لحد أدى إلى ارباك الا دارة .وقد كانت الخصومة قائمة كذلك بين الحنابلة والشافعية .

(٥) انظر : دائرة المعارف الا سلا مية ، مادة حسن بزرك ج٧ ، الطبعة العربية (القاهرة ١٩٣٣) ص ٣٨٩ .

فمد بصره اليها ودخلها فعلا سنة ١٣٣٩ واستقر بها مؤسساً بذلك الدولة الجلائرية، والتي قدر لها ان تخضع العراق(٦)اكثر من سبعين سنة ١٣٣٩—١٤١٠. وقد استمرت في بعض المناطق حتى سنة ١٤٣٣ . ولربما كان زواج الشيخ حسن من دلشاد خاتون ارملة السلطان ابي سعيد(٧)احد العوامل التي ساعدته على ان يعطي لحكمه مظهراً شرعياً ، باعتباره وارثاً لابن خاله السلطان ابي سعيد . وفي ذلك قوة لمركزه ونفوذه . .

الوضع السياسي للدولة الجلائرية قبل تولي السلطان احمد جلائر الحكم : ـ

لقد شرع الشيخ حسن ببناء دولته واضعاً بذلك الاسس الاولى . وقد ضم الى بغداد بعض المناطق كالحلة . وبعد ان توفي الشيخ حسن في ١٣٥٦ خلفه ابنه معزالدولة اويس (١٣٥٦ — ١٣٧٥) الذي اكمل مشاريع والده في الفتح والضم واستطاع احتلال الموصل سنة ١٣٦٤ (٨) . كما ضم تستر(٩). وتوج انتصاراته تلك بدخوله مدينة تبريز (١٠) في سنة ١٣٥٨ واتخاذه اياها عاصمة للدولة الجلائرية . وهنا عادت بغداد لتصبح مجرد مدينة تدار من تبريز وليست عاصمة . ففي زمن اويس امتدت الدولة الجلائرية من خوزستان جنوباً حتى الموصل واذربيجان شمالا، وفي سنة ١٣٧٤ توفي السلطان اويس(١١).

---

(٦) كانت الدولة الجلائرية تضم مناطق أخرى غير العراق ، لذا سوف يشمل البحث العراق بمدلوله السياسي وبحدوده الحالية .

(٧) محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج١ : (القاهرة ، ١٩٣٨) ص ١٤٥ .

(٨) H. Howorth, History of the Mongols Vol 3 (London, New York 1927) , P. 658 .

(٩) تستر أوششتر مدينة بخوزستان اقليم واسع بين البصرة وفارس على جانبي المجرى الأسفل لنهر كارون وتسمى اليوم « عربستان» ، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ (بيروت ، ١٩٥٥) ص ٢٩ .

(١٠) تبريز مدينة اذربيجان ، الحموي ، ج٢ ، ص ١٣ .

(١١) غياث الدين بن همام الدين خوندمير دستور الوزراء (طهران ، ١٣٧٢) ص ٣٢٨ .

ان موت السلطان اويس كان بداية لضعف الدولة الجلائرية وتدهورها . والواقع ان الجلائريين فقدوا بموته شخصية قوية كان لها من الحنكة السياسية والعسكرية والادارية ماساعد على بناء الدولة وتنظيمها واقالتها من العثرات التي صادفتها . يعتبر اويس – بحق – المؤسس الثاني للدولة . وكان كما وصفه احد المؤرخين « ملكاً عادلا واماماً شجاعاً فاضلا (١٢) » . نشبت بعد موت اويس ، سلسلة من الصراعات الاسرية بين اولاده الخمسة وهم – حسين – وعلي – واحمد – وحسن – وبايزيد . وقد حسم الصراع لصالح جلال الدين حسين بهادرخان (١٣٧٥ – ١٣٨٢) ، وقد انصرف حسين الى تصفية مناوئيه معتمداً بصورة خاصة على وزير ابيه شمس الدين زكريا والامير عادل اغا حاكم السلطانية . (١٣) وفي تبريز اجتمع الامراء الموالون للسلطان حسين وقتلوا الشيخ حسن وزعموا ان اويساً اوصاهم بقتله (١٤). اما الشيخ علي ابن اويس فقد كان في بغداد وسرعان ماأعلن طاعته لاخيه حسين . كذلك فعل الامير احمد الذي كان حاكماً على البصرة .

واجه السلطان الجديد ، العديد من الثورات المبكرة ، وبدلا من ان يعمل على اخمادها فقد انصرف نحو حياة اللهو والطرب والمجون ، وترك شؤون الدولة للوزير شمس الدين زكريا (١٥) . ومن الثورات التي حدثت في عهده تلك التي قادها البغداديون الذين استقدموا الشاه منصور بن محمد من قبيلة القره قوينلو التركمانية (١٦). وقد بلغ من خطر هذه الثورة واتساعها ان اضطر

---

(١٢) ابن عربشا ،عجائب المقدور في أخبار تيمور ،(لاهور ،١٨٦٨) ص ٤٦ .

(١٣) سلطانية،نسبة الى السلطان الذي بناها وهو خربندة بن ارغون بن أقبقا بن هولاكو وهي من مدن العراق العجمي. كان اسمها قنغرلان .انظر :احمد بن علي بن ابي اليمن القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، جـ٤ (القاهرة ، ١٩٦٣) ص ٣٥٨ .

(١٤) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ،جـ٥ (بيروت لا،ت) ص ١١٦٩ .

(١٥) عبدالله بن فتح‌الله الغياثي ، التاريخ الغياثي تحقيق طارق نافع الحمدانى (بغداد ،١٩٧٥) ص١٠٠ وكذلك ابن حجر،انباء الغمر في ابناء العمر ؛جـ١ (القاهرة ،١٩٦٩)ص٧٤ .

(١٦) القرة قوينلو من القبائل التركمانية التي حكمت العراق فيما بعد أي بين ١٤١٠ – ١٤٦٧

السلطان حسين إلى اصدار الاوامر لقائده عادل اغا بالتوجه على رأس جيش كبير نحو بغداد واخماد الثورة . تمكن عادل اغا من القضاء على زعماء الثورة، وكتب تقريرا بذلك إلى السلطان حسين الذي اصدر اوامره بتعيين الامير اسماعيل ابن الوزير زكريا حاكما على بغداد على ان يدخل في طاعته الشيخ علي بن اويس. رفض البغداديون ذلك وبايعوا الشيخ علي سلطانا عليهم . فكان لهذا الخبر وقع كبير في بلاط السلطان حسين في تبريز ، فاستعد لمواجهة الامر ، ولم يطل انتعاش الشيخ علي في بغداد طويلا ، اذ توجه السلطان حسين بنفسه نحو بغداد وعندما ايقن الشيخ علي بعدم قدرته على الدفاع انسحب إلى تستر فدخل السلطان حسين بغداد واعاد تثبيت حكمه فيها ثانية . ولكن بغداد ثارت مرة اخرى على السلطان حسين . بعد ان ساءت احوال الادارة وازدادت الضرائب وكثرت حوادث الاعتداء على الناس . ان ذلك كله ساعد على عودة الشيخ علي إلى بغداد واستقراره فيها سنة ١٣٨٠ .

تدهورت اوضاع الدولة الاقتصادية والادارية والسياسية في عهد السلطان حسين (١٧) ذلك ان السلطان حسين اهمل امور الحكم — كما سبق ان قدمنا — لذلك اتفق عدد من الامراء على ضرورة التخلص منه ، واتصلوا خاصة بالامير احمد حاكم البصرة ، وقد استجاب لهم وسار على عجل ،خاصة بعد ان انكشف عجز اخيه في ادارة الدولة وبمساعدة اولئك الامراء الذين قتلوا السلطان حسين تمكن من الاستيلاء على السلطة واعلن نفسه سلطاناً (١٨).

ان الاحداث ، المارة الذكر ، اقامت الدليل على ان الدولة الجلائرية كانت بحاجة إلى شخصية قوية حازمة لادارة شؤونها،ويبدو ان السلطان احمد انتبه لهذا الامر فقدر له ان ينغمس في مشكلات العراق والصراعات التي دارت

(١٧) في عهد السلطان حسين تسلط الامراء على شؤون الحكم وكثرت الفتن والاضطرابات. انظر : خليل ،المرجع السابق ص ٢٩ .

(١٨) الغياثي ،المصدر السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

حوله على مدى ثلاثين عاما حافلة بتصادم القوى في المنطقة وفي كانون الثاني ١٣٨٢ تسلم السلطان احمد مقاليد الحكم (١٩) .

الحركات المحلية في عهد السلطان احمد : ـ

واجه السلطان احمد الجلائري محاولات عديدة للاطاحة به ، وكان عليه ان يعمل على توطيد مركزه ، والتخلص من العناصر التي كانت تمارس دورا كبيرا في اثارة الفتن وخلق مشكلات في عهد سلفه . وبعد فترة من النضال العنيد استطاع ان يقبض على زمام الامور بقوة ومقدرة عظيمتين . ومن اهم المشكلات والتمردات التي واجهها حركة اخيه بايزيد، وتمرد عادل اغا في السلطانية، وحركة اخيه الشيخ علي وثورة البغداديين وفوق هذا وذاك المشكلات العشائرية (العربية والكردية والتركمانية) . وليس من شك في ان تلك الحركات تركت اثارا سلبية على اوضاع العراق السياسية والاقتصادية والثقافية .

لقد اعلن الامير بايزيد بن اويس التمرد في نفس السنة التي تولى فيها اخوه السلطان احمد السلطة ففر من تبريز إلى السلطانية ، ويظهر ان الامير عادل اغا هو الذي حرضه على التمرد ، وذلك لان الامير عادل اغا حاكم السلطانية احسّ بان الاوضاع قد تتطور لغير صالحه ، وان السلطان الجديد قد يعزله ، وينتزع السلطانية منه . زيادة على ذلك تأثر عادل اغا بمقتل السلطان حسين ، والذي كان من اخلص انصاره، فاوعز صدر بايزيد على اخيه ، واتفقا مع الشاه شجاع المظفرى حاكم فارس ضد السلطان احمد اما السلطان احمد فقد اصطدم بهم في معركة غير متكافئة انهزم في اثرها . وبعد ذلك التجأ إلى قره محمد التركماني صاحب الموصل الذي انجد صهره السلطان احمد بما يحتاجه من مؤن وقوات وخاض السلطان احمد جولة ثانية من الصراع بين اعدائه وقد انتهت هذه الجولة بهزيمة الامير بايزيد وحلفائه . ثم عقدت هدنة بين

---

(١٩) انظر : تقي‌الدين احمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج٣

الطرفين كان من احد شروطها ان يستقر بايزيد في السلطانية وينفى عادل اغا خارج البلاد (٢٠).

التفت السلطان احمد نحو الامراء الذين لعبوا دورا كبيرا في اغتيال اخيه السلطان حسين لتصفيتهم . ولعله اوجس منهم خيفة ، وشعر بانهم قد يتحولوا في مستقبل الايام إلى مراكز قوى جديدة تهدد حكمه (٢١) . ومن هؤلاء الامراء بير علي بادوك ، وعمر قبجاقي اللذين هربا إلى بغداد بعد ان علما بما يدبر ضدهما (٢٢) وقد احتضن حاكم بغداد الشيخ علي بن اويس الامراء الفارين وتوجه بهم على رأس جيش نحو تبريز . وعندما علم السلطان احمد بذلك خرج عليهم بجيش كبير ، وكان معه حليفه قره محمد التركماني امير القره قوينلو وصاحب الموصل (٢٣) . وعند نهر هشت رود (٢٤) باذربيجان التقت القوات الجلائرية بالقوات الزاحفة في معركة قاسية انحاز فيها احد انصار الشيخ علي ، وهو خضر شاه بن سليمان شاه ، إلى جانب السلطان احمد ، وقد اصيب الشيخ علي بسهم في المعركة فحمل إلى اخيه وبه رمق فمات وكان ذلك سنة ١٣٨٤ ، وبمقتله انتهى عهد الشيخ علي ، وكانت فترة حكمه في بغداد تقرب من عشر سنوات (٢٥) .

(٢٠) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ص ١١٧٢ .

(٢١) يشير عزيز بن اردشير الاستربادى ، وكان نديم السلطان احمد في بغداد إلا ان السلطان احمد تخلص من عدد من الامراء الكبار ومن هم في تربية السلطنة واعيان رجال الدولة من ذوى الكفاءة والدراية والرأي في تدبير الامور ، ويعيب على السلطان هذا التصرف ويقول انه جمع حوله عددا من الرجال الاسافل ممن عرفوا بالجهل والحماقة واعطائهم مناصب عليا وقد ادى ذلك كله إلى ضعف الادارة وحدوث حركات المعارضة والفتن انظر : كتابه « بزم ورزم» نشره محمد فؤاد كوبرلي (استانبول ، ١٩٢٨) ص١٦ — ٢٠.

(٢٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ١٠٢ ، غياث الدين بن همام خواندير حبيب السير ، جـ٣ (طهران ١٣٣٣) ، ص٢٤٧

(٢٣) نظمي زاده افندي مرتضى ، كلشن خلفاء ، ترجمة موسى كاظم نورس (النجف ، ١٩٧١) ص١٦٦ .

(٢٤) نهر ينبع من مرتفعات مراغة واوجان باذربيجان ويلتقى بنهر سفيد قرب ميانيج

(٢٥) الغياثي ، المصدر السابق ، ص١٠٢ — ١٠٣

اما ردود الفعل البغدادية على مقتل الشيخ علي، فقد اتسمت بالسلبية وسرعان ما ارسلوا إلى عادل اغا ، وقد عاد إلى السلطانية بدعوة من بايزيد ، يطلبون منه ان يبعث اليهم حاكما من قبله يتولى امورهم فاجاب الطلب ، وارسل اليهم ابن اخيه طورسون وقوام الدين النجقي وهو من امراء السلطان السابق حسين ولما وصل طورسون بغداد اتخذ عدة اجراءات لتثبيت مركزه .

فقتل حاكم بغداد من قبل احمد جلائر عبد الملك الطمغجي وصادر الفي تومانا (٢٦) (٢٠ مليون دينار) من المال الذي في حوزته ، وقتل عدد اخر من الامراء (٢٧) وقد اتبع طورسون سياسة تعسفية مع البغداديين ، فصادر اموال الاغنياء وكان يرسلها تباعا إلى عادل اغا ، وقد ساءت الامور وسادت الفوضى في بغداد الامر الذي ادى إلى اسراع السلطان احمد بالتوجه نحوها ، وعندما اقترب من بغداد حاول طورسون الهرب ، الا ان الجند تعقبوه والقوا القبض عليه وقتلوه اما عادل اغا وبايزيد فقد هرب الاول من السلطانية والتحق بتيمور الذي كان يغزو المناطق المجاورة للدولة الجلائرية . وتوسط الشاه شجاع المظفري للثاني بعد ان تحسنت العلاقات الجلائرية — الفارسية فوافق السلطان احمد على عودته إلى بغداد وامنه ثم غدر به بعد ذلك وسمل عينيه (٢٨) هذا

---

(٢٦) والتومان Tumen معناه ١٠,٠٠٠ وعندما يتكلم المؤرخ وصاف عن الصين يذكر ان التومن يساوى ١٠,٠٠٠ باليش وان كل باليش يساوى (٦) دنانير ، وعند تدقيق روايات المؤرخين نجد انه لم يجر الحساب بالباليش في الدولة الجلائرية خلال اواخر القرن الثالث عشر وفي القرن الرابع عشر وان الوحدة القياسية في العملة صارت الدرهم وكان وزنه ٢,١٥ غرام . وقد قابل حمد الله القزويني (التومن) في كل مكان في كتابه « نزهة القلوب» . بالدينار لا بالدراهم وان هذا الدينار لم يكن الدينار الذهبي انما كان هذا الدينار — كما يقول رشيد الدين — من الفضة واذا كان التومن مساوياً لعشرة الاف دينار ، فان قيمة التومن تكون ٦٠,٠٠٠ درهم . انظر : بارتولد ، الحالة المالية في العهد الايلخاني ، مجلة الدراسات الحقوقية والاقتصادية ، ص١٤٤ — ١٤٦ .

(٢٧) مير خوند ، المصدر السابق ، ج٥ ،ص٥٩٠ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ج٥ص١١٧٣

(٢٨) زينل اوغلو جهانكير ، اذربيجان تاريخي ، (استانبول ، ١٩٢٤) ص٧٤ .

وقد بقي السلطان احمد في بغداد طيلة فصل الشتاء وفي الربيع غادرها عائدا إلى تبريز بعد ان عين الخواجة يحيى السمناني حاكما على بغداد .

بالرغم من رغبة السلطان احمد الجلائري في الانصراف لتنظيم شؤون العراق الاقتصادية والادارية ، فان الحركات المحلية والتمردات العشائرية حالت دون ذلك . فقد استغلت تجمعات عشائرية مختلفة انشغال السلطان احمد في قمع الحركات المحلية وفي مواجهة الخطر التيموري لتقطع صلتها بالحكومة المركزية . فقد بسط نعير بن حيار(٢٩)امير آل فضل نفوذه على جهات الفرات من هيت حتى الانبار ، كما استغل بعض حكام المدن عجز السلطان احمد من السيطرة على العراق فاعلن بعضهم استغلاله وقدم حاكم تكريت وحاكم سنجار ولاءهما للسلطان المصري (٣٠) .

وقد انتعشت سطوة قبيلة خفاجة (٣١) في مناطق الفرات الاوسط واستولت قبائل المنتفق (٣٢) على البصرة وتولى حكمها اميرها صالح بن حولان ، والذي اخضع القبائل العربية فيها ومد نفوذه إلى البحرين وكان يدين بالولاء للسلطان احمـــد ، وقاوم قوات تيمور عند قدومها إلى البصرة بعد احتلال

---

(٢٩) نعير امير آل فضل بالشام ، تولى الامارة سنة ١٣٧٥ فبسط نفوذه على القبائل العربية في اسفل الفرات وقد اسند المماليك الذين كانوا يحكمون الشام ومصر آنذاك لآل فضل خفارة طرق القوافل بين العراق والشام . وآل فضل بالاصل هم من طي . وكان افرادها يتنقلون بين الشام والجزيرة ونجد انظر : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان تحقيق ابراهيم الابياري (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦-٧٩ كما وردفي جاسم مهاوي حسين ، تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام واثاره السياسية ١٣٨٥– ١٤٠٥ رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة بغداد ، نيسان ١٩٧٦ ، ص٩٠.

(٣٠) المقريزي ، السلوك ، ج٣،ق٢ ، ص٤٩٨ وكذلك ابن حجر ، ابناء الغمر . ج١ص٢٧٦.

(٣١) خفاجة احدى بطون بني عقيل تنتشر تجمعاتهم في الفرات الاوسط والبطاح . كانت من القبائل المهمة في العهد الايلخاني ، خضعوا للجلائريين ، وسيطروا على الحلة سنة ١٤٢٣ انظر : مهاوى المرجع السابق ، ص٩١.

(٣٢) تجمعات عشائرية بين الكوفة والبصرة ، برز نشاطهم في اواخر العصر العباسي وازداد في العهدين الأيلخاني والجلائري ، وهم عبارة عن تآلف بين ثلاث عشائر كبرى هي بنو مالك وبنو سعيد والاجود انظرعنهم:عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث (القاهرة١٩٦٨)ص١٥٢-١٥٣ .

بغداد ، ثم حكمها احد امراء تيمور المسمى سربدار فترة قصيرة ١٣٩٤ وبعدها انفردت القبائل العربية بحكمها بصورة مستقلة منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادى (٣٣) كما سيطر الشيخ اويس زعيم قبيلة عبادة على واسط (٣٤)

اما الموصل فكان يحكمها امراء التركمان القره قوينلو باسم الجلائريين ، فقد ضربت النقود فيها باسم السلطان احمد (٣٥) الا أن امراء التركمان مالبثوا ان اعلنوا انفصالهم عن احمد جلائر بعد تولي قره يوسف زعامة هذه القبائل وكان اخوه يار علي حاكما على الموصل (٣٦) .

ولقد شهدت المناطق الكردية اضطرابات عديدة ، ولم يستطع السلطان احمد ان يبسط نفوذه المباشر عليها ، واكتفى بقبول السيادة الاسمية على المدن والحكام التابعين له بضرب اسمه على النقود ودفع الضرائب التي كانت تجبى بطريقة الضمان (٣٧) . وقد لعبت القبائل الكردية دورا كبيرا في ارباك الادارة ، وساعدت البيئة الجغرافية والمسالك الوعرة على ان يحكم امراءها

---

(٣٣) خليل ، المصدر السابق ، ص٤٧

(٣٤) شرف الدين علي اليزدى ظفر نامة ، (طهران ، ١٣٣٦) ، ج٢ص٢٧٨ .
كما ورد في مهاوي المرجع السابق ص٩٢.

(٣٥) لتفاصيل ذلك راجع محمد مبارك ، مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي (قسطنطينية ، ١٣١٨)ص٢٠٦وكذلك مهاوي درويش البكري نقود الدولة الجلائرية ، مجلة سومر ، المجلد ٢٩ ، ج١ — ٢ ، بغداد ١٩٧٣ ، ص٢٤٣ .

(٣٦) Sauory, The Struggle for supermacy in persia after the death of Timur ,Derislam ,1940,vol,40,pp,36-37,
كما ورد في مهاوى ، المرجع السابق ص٩٤ .

(٣٧) لم يكن اسلوب الادارة في الدولة الجلائرية يخضع لروتين معين ، بل كان يتغير تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية للدولة . وفي عهد السلطان احمد استقرت اسلوب الادارة على بعض الاسس والانماط القديمة التي ورثوها عن الايلخانيين ، ومن هذه الانماط الحكم بطريقة الضمان وكان الديوان يفوض حكومة احدى المدن الى الضامن مقابل تأدية مبلغ معين من المال ، ويقوم الضامن باستحصال حقوق الديوان من منطقة ويحتفظ بالزيادة لنفسه. ومع ان الغرض الرئيس من هذا النوع من الادارة هو تحصيل الموارد الحكومية ، فقد كانت تناط بالضامن كافة شؤون المنطقة واشغال الديوان فيها ويعمل على نشر الامن بين السكان واعادة من نزح منهم وغير ذلك . انظر : خليل ، المرجع السابق ج ٧٤ ،

على اتباعهم بصورة مستقلة . وكانوا يتحينون الفرص لمهاجمة القوافل التجارية المارة بين العراق وايران (٣٨) .

في تلك الظروف المشحونة بالاضطرابات والفتن والمشكلات كان على السلطان احمد ان يعمل فما ان تخلص من بعض الاخطار الداخلية حتى بدأت علامات الاندفاع التيموري الاول على الدولة الجلائرية سنة ١٣٨٧ تظهر من بعيد لتضيف إلى مشكلاتها مشكلة جديدة — كما سنرى — .

الصراع الجلائري — التيموري وابعاده :—

شهد الشرق الاسلامي في اواخر القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر تحركات مغولية اكتسحت امامها دولة الخانات الممزقة بتاثير حروب الوراثة الاهلية ، خاصة بعد وفاة الخان ابي سعيد وكانت هذه القوة الفتية بزعامة قائد « اعرج» اسمه تيمور ينتمي إلى عشيرة مغولية تدعى بارالاس Barlas (٣٩) . وقد استطاع تيمور ان يسيطر على اوضاع بلاد ماوراء النهر ويقفز إلى السلطة سنة ١٣٧٠ متخذا من سمرقند عاصمة له ومنطلقاً لغزواته التي شملت اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي (٤٠) .

بدأ تيمور غزوه العالم الاسلامي سنة ١٣٧٥ حين اجتاحت جيوشه خوارزم وشيراز ولم تمض فترة طويلة حتى فتح جرجان وطبرستان وسجستان وافغانستان واذربيجان ولم يكن الغزو التيموري للعالم الاسلامي — في الحقيقة — سوى جزء من حركة واسعة النطاق استهدفت اقامة امبراطورية عالمية . ويبدو ان الاوضاع السائدة في المناطق التي شملها الغزو مهدت له سبيل التوسع بشكل واضح . فالحكام في تلك المناطق ، انصرفوا الى اللهو والعبث والتنافس والانقسامات وتصارع القوى . اما الحروب الاهلية فقد ضربت اطنابها بحيث لايتورع الاخ — كما قيل — ان يقتل اخاه ثم يقهقه ضاحكاً،

(٣٨) خليل المراجع السابق ، ص ١٧٨ وكذلك مهاوى ، المراجع السابق ، ص ٩٥ .

(٣٩) CyriL Elgood, Amedical history of persia and Eastern Calphata- Cambridge, 1951, P, 324 .

(٤٠) للتفاصيل انظر : ابن عربشاه ، المصدر السابق

«لقد اقتسمنا العالم هو تحت الارض وانا فوقها»(٤١) اضافة الى ماكانت تتمتع به تلك المناطق من ثروات اقتصادية بجعلها قبلة كل فاتح ومطمح كل طامح(٤٢).

لقد حاول تيمور منذ سنة ١٣٨٦ ان يطرق ابواب الدولة الجلائرية حين تطلع الى تبريز . وبالنظر لانشغال السلطان احمد بمواجهة المحاولات الرامية الى الاطاحة به فانه اهمل المساعي التي بذلها الاميرولي حاكم طبرستان لاقامة تحالف ضد تيمور يضم الدولة الجلائرية والدولة المظفرية وطبرستان كما ساءت العلاقات بين الدولة الجلائرية والدولة المظفرية بسبب تأييد المظفريين لبعض المناوئين للسلطان احمد كما سبق ان قدمنا . ولم يحاول السلطان احمد ان يتخذ اية خطوة ايجابية لتحسين علاقته بالمظفريين لاستخدامهم حزاماً يقيه خطر اندفاع تيمور (٤٣) . وكذلك لم يستفد من الصراع الدائر بين تيمور وتقتش خان حاكم الدشت والقفجاق في الجهة الشمالية . فكان لذلك اثر في فقده اذربيجان بعد غزو تقتش خان لبعض جهاتها (٤٤) .

التفت السلطان احمد الى الجهة الغربية ، بعد ان تداعت الجبهات الشمالية والشرقية للدولة الجلائرية . فارسل سنة ١٣٨٧ وفداً الى السلطان العثماني مراد الاول (١٣٦٠ — ١٣٨٩) من اجل اقامة تحالف ضد تيمور ، لكن مراد الاول لم يؤيده في مسعاه . ولما مات الاخير سنة ١٣٨٩ ارسل السلطان احمد وفداً الى بايزيد بن مراد (١٣٨٩ — ١٤٠٢) للغرض نفسه ، كان بايزيد اكثر وعياً من ابيه لخطر تيمور كما يبدو ، الا ان انشغاله بالجبهة الاوربية حال دون اتخاذه خطوة عملية للوقوف مع احمد جلائر .

هذا وقد حاول السلطان احمد التعاون مع المماليك الجراكسة ، واتضح هذا التعاون سنة ١٣٨٦ حين ارسل وفداً الى السلطان برقوق يحذره من

---

(٤١) هارولد لامب ، تيمورلنك ، ترجمة عمر ابو النصر (بيروت ، ١٩٣٤) ، ص ٨٩ .

(٤٢) Elgood, op, cit, p.329.

(٤٣) مهاوي المرجع السابق ، ص ٩٥ — ٩٧

(٤٤) عن هذا الغزو انظر : الاستربادى ، المصدر السابق ص ١٦

خطر تيمور . فقام برقوق اثر ذلك بارسال جيوشه الى الشام في السنة التالية استعداداً لمواجهة اي هجوم تيموري ، ولكن رجوع تيمور الى سمرقند بعد ثورة احد اتباعه الامير قمر الدين جعله يسحب قواته الى القاهرة ويلغي الاجراءات الاستثنائية التي اتخذها (٤٥) .

لقد اجتاح تيمور تبريز عاصمة الدولة الجلائرية سنة ١٣٨٦ واضطر السلطان احمد الى الانسحاب نحو بغداد . وقد عاثت جموع تيمور في تبريز سلباً ونهباً حتى ان الناس استعادوا ذكرياتهم المؤلمة عن جنكيزخان وهولاكو. ولكن تيمور عاد الى سمرقند ، وبعد ان اخمد الثورة التي اشرنا اليها آنفاً قرر غزو العراق وكان ذلك بعد ستة اعوام من اجتياحه تبريز .

اتخذ السلطان احمد الاستعدادات العسكرية لمواجهة الخطر التيموري وجهز جيشاً بقيادة الامير (سنتائي) . وقد اصطدم هذا الجيش بمقدمة الجيش التيموري عند مدينة السلطانية . وكانت نتيجة المعركة تمزق جيش سنتائي وتشتته . وبالفعل وصلت بعض فلوله مدينة بغداد . اما القائد سنتائي « فقد غضب عليه السلطان احمد واشهره في بغداد بعد ان ضربه واوجعه» (٤٦).

زحف تيمور نحو بغداد ، وواجه جيشاً جلائرياً آخر في طريقه عند قلعة النجق (٤٧) . وهي معقل السلطان احمد؛سابقاً وبها ولده طاهر وزوجته. وكان الحاكم في القلعة رجلا قوياً اسمه « التون » . وقد استطاع ان يصمد اكثر من اثني عشر عاماً . وكان لحصانة القلعة دور كبير في صعوبة فتحها(٤٨).

(٤٥) مهاوى المرجع السابق ،ص (٩٩ – ١٠٠) .

(٤٦) ابن عربشاه ، المصدر السابق ،ص٥٦) .

(٤٧) النجق او النجا ، وهي ناحية في ولاية سيكونكغ وهي الان اطلال في رحاب مدينة نخجوان من اراضي جمهورية آذربيجان السوفيتية الاشتراكية وتقوم قلعة النجق على مسيرة نحو عشرين كيلومترا على قمة جبل بالغ الوعورة قرب مدينة خانقا وقد كان للقلعه هذه شان كبير في عهد التيموريين . والتركمان انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ،مادة قلعة النجق ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٤٨) ابن عربشاه ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

لقد كان اخضاع العراق جزء من ستراتيجية شاملة اعدها تيمور للسيطرة على العالم الاسلامي . وتكمن وراء هذا الغزو عوامل عديدة منها اقتصادية ومنها سياسية – عسكرية . فقد اراد تيمور بحملته على العراق وايران ان يؤمن طرق المواصلات التجارية بين الصين والهند وبين الغرب عبر الطريق الخراساني ويزيل كل عقبة تحول دون تحقيق ذلك سواء كانت تلك العقبة تجمعاً قبلياً ام كياناً سياسياً . ان اضطراب الوضع في فارس واذربيجان والجزيرة والسيطرة الجلائرية على العراق والمملوكية على مصر والشام اضطرت القوافل التجارية القادمة من الصين والهند الى ان تأخذ وجهة جديدة ، فبدلا من ان تسير على الطريق البري من البنجاب فسمرقند ومنها تسلك الطريق الخرساني الى البحر المتوسط ، فان قسماً من هذه القوافل اخذت تسلك الطريق البحري من الهند عبر المحيط الهندي فالبحر الاحمر ومنها الى دمشق والاسكندرية ومن هناك الى اوربا . كما ان تيمور قصد وراء غزوه للعراق ان يؤمن لجيشه موارد اقتصادية جديدة عن طريق ضريبة مال الامان التي فرضها على المدن التي فتحت صلحاً كبغداد والموصل واربيل وكركوك، اوعن طريق عمليات النهب والمصادرة لاموال المدن والمناطق التي فتحت عنوة مثل واسط والحلة والبصرة وتكريت (٤٩) .

مهما يكن من امر فان تيمور كان مصمماً على غزو العراق ذلك ان غزو العراق كان يدخل ضمن ستراتيجية تيمور البعيدة المدى ، والتي كان يهدف من ورائها خلق عمق عسكري وجغرافي لامبراطوريته المنشودة . وكان تيمور قد استولى فعلا على مناطق ماوراء النهر وايران وبقيت العراق وسوريا ومصر تنتظر الفتح .

توجه تيمور نحو بغداد . واثارت انباء وصوله قلقاً بين السكان . وما

(٤٩) للتفاصيل عن ستراتيجية تيمور التوسعية انظر : مهاوي المرجع السابق ، ص ١٠٢–١٠٧

ان سمع السلطان احمد بذلك حتى حاول ان يفتح سبيل المفاوضات مع تيمور املا في التوصل الى حل للمسألة . فارسل اليه مفتي بغداد الشيخ نور الدين عبدالرحمن الاسفراييني البغدادي وهو من اعيان بغداد المعروفين حاملا رسالة السلطان احمد المتضمنة رغبته في الدخول في طاعة تيمور ، وانه لايلجأ الى المقاومة ، وارفق مع الرسالة العديد من الهدايا والتقوزات (٥٠) وقد اكرم تيمور الاسفراييني هذا وطمأنه بانه لايهاجم بغداد (٥١) . ولاجل ذلك ارسل مع الشيخ الاسفراييني رسالة يطمئن فيها السلطان احمد البغداديين ويطلعهم على مادار بينه وبين تيمور من مفاوضات (٥٢) .

ويبدو ان ذلك لم يكن سوى خدعة اراد بها تيمور كسب الوقت ، فنكث وعده ولم يتوان عن غزو بغداد . ويمكن ان نضيف ذلك الى الاسباب التي تجعلنا نأخذ برواية بعض المؤرخين – حول استنجاد البغداديين بتيمور – بحذر ، علماً بأن تيمور ارسل للسلطان احمد خلعة وسكة ، وان السلطان احمد لبس خلعته وضرب السكة باسمه (٥٣) واذعن لطاعته (٥٤) .

تحرك تيمور في ٢٢ آب ١٣٩٣ من منطقة آق بولاق بالقرب من اربيل

---

(٥٠) التقوزات وتعني الاشياء التسعة التي كان من عادة تيمور ان ياخذها ممن يدخل في طاعته وهي ان يقدم كل من يخضع لتيمور تسعة اصناف من انتاج بلده وتكون لها اهمية وتتصف بالندرة ، ولهذا التقليد اهمية اقتصادية وهي محاولة تيمور التعرف على الموارد الاقتصادية للبلدان واهميتها في التجارة والصناعة فضلا عن قيمتها الآنية انظر : ابن عربشاه ، المصدر السابق ص ٥٣ – ٥٤ مهاوي المصدر السابق ص ١٢٤ ، الغياثي المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٥١) Howorth, op. Cit ., Vol, 3, P. 662.

(٥٢) ابو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، والمستوفي بعد الوافي تحقيق احمد يوسف نجاتي ، ج ١ (القاهره ، ١٩٥٦) ، ص ٢٣٣ .

(٥٣) محمد بن عبد الرحمن بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحرير قسطنطين زريق ، ج ١ (بيروت ص ٣٤٣) .

(٥٤) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

وكان قد توقف فيها ووصل منطقة كورة كوركان بالقرب من شهرزور في كردستان وهزم هناك الجيش القره قويناوي بقيادة الامير قره محمد التركماني(٥٥)وقد توقف فترة ثم غادر المنطقة حتى وصل قبة ابراهيم(٥٦) التي اسرع اهلها فارسلوا حمامة الى بغداد تنبيء بوصول تيمور وعندما علم تيمور بما فعله اهل القبة اجبرهم على ارسال حمامة اخرى تخبر اهل بغداد بأن الذي شاهدوه لم يكن الا غبار التركمان الفارين امام تيمور نفسه (٥٧) ومن هنا يبدو ماكان يعطيه تيمور من قيمة كبيرة لما يطلق عليه الآن « الحرب النفسية » حيث اتبعها في معظم حروبه بهدف التأثير على معنويات اعدائه . ولتسهل امامه مهمة القضاء عليهم .

لقد اطمأن السلطان احمد بعد وصول الرسالة الثانية بعض الشيء (٥٨) وهذا يدل على ماتركته الرسالة هذه من تاثير في معنويات السلطان الذي لم يشعر الا وتيمور قد عسكر في الجانب الغربي من بغداد وكان ذلك في ٢٩ آب ١٣٩٣ (٥٩) . وظل السلطان احمد خائفاً يترقب ، وحين سمع صوت النفير فرّنحو الحلة فامر تيمور بتعقبه . وقد عبر السلطان إلى الجانب الغربي من نهر الحلة وامر باحراق السفن ، ولكن جنود تيمور عبروا وراءه سباحة وجرت معركة صغيرة بينهم وبين اعوان السلطان عند كربلاء.استطاع خلالها السلطان احمد الهروب نحو الشام فوصل الرطبه واكرمه اميرها ثم اتجه الى حلب فاستقبله نائب

---

(٥٥) Howorth , op, cit, Vol , 3,P. 663

(٥٦) القبة قرية فيها قرار الشيخ ابراهيم بن يحيى وتسمى قبته باسم قبة ابراهيم الملك جبال حمرين تبعد عن بغداد حوالي سبعه وعشرين فرسخا انظر : خليل ، المرجع السابق هامش ، ص ٧٧ .

(٥٧) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٥٨) Howorth, po. Cit.,Vol,3,, p. 663.

(٥٩) الغياثي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

السلطان برقوق الامير سيف الدين جلبان فيها بما يليق به (٦٠) وبعد فترة قصيرة سافر السلطان احمد إلى القاهرة، وكانت انذاك مركزا لدولة المماليك الجركسية التي ضمت الشام كذلك. (٦١)

دخل تيمور بغداد يوم السبت ٣٠ آب ١٣٩٣ بعد ان وجد ابواب المدينة مفتوحة امامه ولم يجد اية مقاومة تذكر (٦٢). ويبدو ان اهل بغداد قد خشوا ان يصيبهم ماأصاب اسلافهم الذين رفضوا الخضوع لهولاكو سنة ١٢٥٨ (٦٣). فوهنت عزيمتهم وتسرب اليأس منذ البداية إلى نفوسهم من قدرتهم على مقاومة الحصار والعمل على رفعه، وخاصة بعد انسحاب احمد جلائر (٦٤). ولما لم يجد مقاومة لقواته، فقد فرض على البغداديين ضريبة السلم المسماة آنذاك بضريبة مال الامان.

وطالب الناس باموال اكثر مما يستطيعون دفعه، وكان الملتزم لعملية الجمع شرف الدين البلقي (٦٥) وقد رافق جمع الضريبة ابشع اساليب التعذيب واقساها، حتى قضى على عدد كبير من الناس قدرهم المقريزي بـ (٣٠٠٠) نفس. بعد ان بالغ في وصف حالة سكان بغداد بعد الغزو (٦٦) وقد اشار

---

(٦٠) للتفاصيل انظر، المقريزي، السلوك، جـ٣، ص ٨٠٠، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، جـ٥ (بيروت لا. ت) ص ٢٤٤، ومحمد ابن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن مابعد القرن السابع جـ١، (القاهرة، ١٣٤٨)، ص٤٢

(٦١) للتفاصيل عن دولة المماليك انظر: محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك جـ٣ القاهرة، ١٩٦٢) ص ٤١.

(٦٢) ابو البركات محمد بن احمد اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١ (القاهرة، ١٣١١ هـ)، ص ٢٩٩.

(٦٣) المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٩٩.

(٦٤) مهاوي، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٦٥) الغياثي، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٦٦) المقريزي، السلوك، جـ٣، ق٢ ص ٧٩٠.

المقريزي كذلك إلى ان تيمور صادر اهل بغداد ثلاث مرات وجمع في كل مرة (١٥٠٠) تومان (٦٧) اى ما مجموعة (٤٥) مليون دينار وقبل ان يتوجه تيمور نحو مدن العراق الاخرى لفتحها عين مسعود السبزاوى حاكما على بغداد (٦٨) ثم اتجه نحو تكريت فحاصرها اربعين يوما حتى تمكن من دخولها وقضى على المقاومة وقتل اميرها حسن بن بولتمور (٦٩) . وسرعان ماتهاوت المدن الاخرى تحت ضربات تيمور القوية . فخضعت اربيل وكان حاكمها الامير شيخ علي اويرات (٧٠) وعندما وصل تيمور إلى كركوك سنة ١٣٩٣ استقبله حاكمها وقدم ولاءه مع حكام المدن والقلاع المجاورة . فانعم عليهم واكرمهم ووزع عليهم الهدايا والاموال (٧١) . وبعد ذلك توجه تيمور نحو الموصل وكانت انذاك تابعة إلى قره يوسف امير القره قوينلو ويحكمها اخوه يار علي الذي سرعان ماستسلم لتيمور دون اي مقاومة (٧٢) . اما البصرة فقد ارسل تيمور ابنه ميرانشاه على راس جيش لفتحها وكان يحكمها امير المنتفق صالح بن حيلان الذي استنجد بعرب بني عقيل في البصرة ، والبحرين فاجتمع لديه جيش كبير من العشائر العربية . ولما وصل ميرانشاه بقواته إلى البصرة اشتبك مع قوات التحالف العشائرية في معركة اسفرت عن اندحار القوات التيمورية ، ولكن تيمور اسرع فارسل حملة ثانية اسفرت عن دخول البصرة تحت الاحتلال التيموري . وهكذا اصبح العراق كله جزء من ممتلكات تيمور . (٧٣)

---

(٦٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٩٠ .

(٦٨) خليل ، المرجع السابق ص ٣١ .

(٦٩) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٥ ،ص ١١٧٥ .

(٧٠) الغياثي ، المصدر السابق ،ص ١٨٩ .

(٧١) خليل ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٧٢) الغياثي ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٧٣) للتفاصيل انظر : ابن الفرات ، المصدر السابق ، ج٩ص ٣٤٧ .

ان سياسة تيمور في العراق لاتختلف عن سياسته في بقية اقطار مملكته اذ كان اهتمامه منصبا على جعل ماوراء النهر مركز التوجيه والتاثير في العالم الاسلامي(٧٤) . وقد حاول الفاتح ان يظهر بمظهر الملتزل بالاحكام الاسلامية ، فامر اتباعه بغلق بيوت الدعارة في بغداد (٧٥) . كما توجه بنفسه إلى قصر السلطان احمد : وعلى مرأى من العلماء . طلب من الجند جمع المشروبات الموصلية والدياربكرية الموجودة فيها والقائها في نهر دجلة (٧٦) . ولكن سياسة تيمور الدينية في العراق ارتبطت بموقف العراقيين وموقفه من احمد جلائر ودولة المماليك الذين يتبعون المذهب الشافعي . ولما كان الشافعية في بغداد يؤلفون الاكثرية ويميلون إلى الجراكسة لذلك قام باضطهادهم والتقرب من اتباع المذهبين الحنفي والحنبلي . وكذلك استمال الامامية . وقد اتضح ذلك في تخصيصه الاموال والاوقاف لمشاهدهم (٧٧) .

اتخذ تيمور بعض الاجراءات الادارية والسياسية التي تعد نتيجة من نتائج الغزو التيمورى الاول اهمها تصفية اعوان السلطان احمد ، وفرض الاقامة الجبرية على قسم منهم كما انتقى تيمور ثلة من المهندسين والمعماريين وامر بتهجيرهم إلى عاصمته سمرقند (٧٨) .

لقد شهد العراق خلال السيطرة التيمورية الاولى فوضى سياسية وادارية واقتصادية وكان ذلك بسبب عوامل مهمة منها بعده عن العاصمة ، وضعف النفوذ العسكري والسياسي للسلطة التيمورية في العراق . ولعدم وجود معطيات

(٧٤) مهاوي ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٧٥) V. V Barthold, Four studies on the history of central Asia, tr. Form Russiam by Minorsky. Vol, II, (Leiden, 1958) . P.

كما ورد في مهاوي المرجع السابق ص ١٧٢ .

(٧٦) شهاب الدين عبدالله بن لطف الله الخوافي المشهور بحافظ آبرو ، زبدة التواريخ ، (بغداد ١٩٥٦) . ص ١٠٧ كما ورد في مهاوى المرجع السابق ص ١٧٣ .

(٧٧) مهاوي المرجع السابق ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٧٨) لامب ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .

امنية لدى الغزاة تعوض للسكان مافقدوه من كيان سياسي . ناهيك عن توثب اصحاب السلطان الهارب للانقاض على الحكم التيموري من خارج العراق وداخله (٧٩) . ومثال ذلك ماحدث من خروج بعض الامراء في شمال العراق عن طاعتهم لتيمور ومن هؤلاء يار علي حاكم الموصل (٨٠) .

اصبحت امبراطورية تيمور محاددة للمماليك والعثمانيين خاصة في الجهات الشرقية الامر الذي ادى إلى اصطدامه مع هاتين القوتين ، ويبدو ان تيمور قرر تصفية الامر مع المماليك اولا ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى رغبته في تامين قاعدته الجنوبية في جهات سوريا عند قيامه بالهجوم على العثمانيين(٨١)

لقد انتهز تيمور فرصة التجاء السلطان احمد إلى مصر ، فراح يطلب من السلطان برقوق ان يعترف بسيادته على العراق وايران ، وان يكون تابعا له وانالنقود باسمه ، وان يذكره في المساجد ، وقد حمل هذه المطالب وفد برئاسة شيخ شاه الذي توجه في شباط ١٣٩٤ يحمل رسالة طويلة فيها تهديد ووعيد ، فاجابه السلطان برسالة مطولة (٨٢) ثم اقدم على قتل رسل تيمور وجهز نفسه للسفر ، واصطحب معه السلطان احمد فوصلا دمشق في ايار ١٣٩٤ ، واقام بها خمسة اشهر وعشرة ايام ، وبعد سماعه بعودة تيمور إلى بلاده اثر تمرد احد اعوانه عليه جهز السلطان احمد بما يحتاجه استعدادا للعودة إلى العراق والعملعلى استعادة نفوذه هناك (٨٣) .

---

(٧٩) مهاوي المرجع السابق ،ص ٣٣٩، ٣٤٣ .

(٨٠) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين ، جـ٣ ، (بغداد ، ١٩٣٦) ، ص٢٨

(٨١) عبد القادر احمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٢٤٣ .

(٨٢) ابي العباس بن يوسف بن احمد القرماني ، اخبار الدول واثار الاول على هامش كتاب الكامل لابن الاثير ، جـ٩ ، (القاهرة ، ١٢٩٠ هـ) ، ص ٢٠٦ .

(٨٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

اوضاع العراق بعد عودة السلطان احمد الجلائري :-

توجه السلطان احمد نحو بغداد ، وعندما سمع الخواجه مسعود السبزاري بذلك ترك بغداد ، لخوفه من انتقام السلطان احمد . وعدم قدرته على الدفاع اذ لم يكن يملك اكثر من ٥٠٠٠ جندي . (٨٤) ويبدو ان اتباع السبزاري قرروا المقاومة الامر الذي جعل السلطان احمد يستنجد بحليفه السابق قره يوسف الذي انجده بقوات كبيرة ، فدخل بغداد . فاعاد تنظيم جيشه واستخدم فيه العرب والتركمان واستطاع ان يعيد سيطرته على جزء كبير من العراق ولكن حالة بغداد الاقتصادية والصحية تدهورت في سنة عودته (١٣٩٤) . فقد انتشر وباء الطاعون بين السكان اعقبه غلاء فاحش فاضطر السلطان احمد النزوح إلى الحلة ، ثم عاد إلى بغداد في السنة التالية (٨٥) .

إن استعادة السلطان احمد الجلائري لبغداد ، جعل الدولة التيمورية تفكر جدياً بخطره وتعمل على استئصال شأفته من جبهتها الغربية . وقد بذل تيمور محاولات سياسية وعسكرية للقضاء على احمد جلائر في الفترة الممتدة من ١٣٩٨ ١٤٠٠ باءت جميعها بالفشل الذريع . (٨٦) ومن الاساليب السياسية التي لجأ اليها تيمور ما يسمى (بمؤامرة شروان) والذي بعثه تيمور بمهمة تجسسية إلى بغداد . وقد اوهم شروان السلطان احمد بانه قد هرب من تيمور ، واستطاع ان يكسب رضى السلطان احمد الذي اكرمه . ولم يكن يعلم بان هناك مؤامرة تدبر خلفه حيث كان شروان هذا قد اتصل ببعض الامراء واغدق عليهم الاموال . ولكن شاءت الصدف ان تقع الورقة التي تحمل اسماء المتآمرين فاوصلها كوره بهادر إلى السلطان نفسه . فحكم على جميع

---

٨٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
٨٥) ابن حجر . انباء الغمر بابناء العمر . ص ٤٨٨ .
٨٦) للتفاصيل ذلك انظر مهاوي المرجع السابق ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

المتآمرين بالاعدام ومنهم شروان نفسه . (٨٧) وقد تركت هذه الحادثة — على ما يبدو — اثار عميقة في نفس السلطان احمد الذي اخذ يتوجس خيفة من كل المحيطين به . واخذ يشك في اقرب الناس اليه ، إلى درجة انه اقدم على قتل عدد من اقربائه ومنهم خالته وفاء خاتون . (٨٨) ثم اعتكف عدة ايام خارج بغداد مع ستة من اتباعه وتوجه بعد ذلك سراً عام ١٤٠٠ إلى قره يوسف امير القره قوينلو طالباً منه المساعدة في صد الغزو التيموري المنتظر خاصة وان الوضع العسكري للدولة الجلائرية بات حرجاً بعد عمليتين عسكريتين ارسلهما تيمور إلى العراق بين سنتي ١٣٩٨ — ١٣٩٩ . (٨٩)

لقد قرر تيمور ازاء ذلك غزو العراق ثانية ، لاسيما وانه علم بوفاة السلطان المصري برقوق من جهة ، واستيلاء السلطان العثماني بايزيد على سيواس وملطية من جهة أخرى ، فقصد الجزيرة بلاد الشام اولا (٩٠) وبدأ هجومه على المناطق الخاضعة لنفوذ المماليك في جهات آسيا الصغرى فأوقع هزيمة كبيرة بجيش المماليك في موقعة حلب في ٣ تشرين الاول ٤٠٠ فسقطت حلب بيده ، ثم توجه الى دمشق حيث استسلمت له صلحاً ، ومع ذلك فلم يراع شروط الصلح فكرر مآسيه واستمرت عمليات القتل والنهب تسعة عشر يوماً (٩١) .

اما السلطان احمد الجلائري ، فقد كان يعاني من حالة الخوف والفزع خاصة بعد ان فقد بوفاة برقوق صديقاً قوياً له ، ولكن اين يتجه ؟ فالشام

---

(٨٧) الغياثي المصدر السابق ، ص ١٢٠ — ١٢١ .
(٨٨) المصدر نفسه ، ص ١٢١ — ١٢٢ .
(٨٩) لتفاصيل هذه الحملات انظر مهاوي المرجع السابق ص ٣٤٤ — ٣٤٧.
(٩٠) المرجع نفسه ، ص ٢٣٦
(٩١) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٢ ، ص ٢٤٥ .

ومصر فيهما من الاضطرابات مايجعله غير آمن على حياته وغير قادر على ان يجد العون ، لذلك قرر الالتجاء الى العثمانيين ويبدو انه اعتقد بأن الجيوش الغازية اذا مااحتلت الاناضول وسوريا فان منافذ الهروب ستغلق دونه وسيكون تحت قبضة الغزاة لذلك اسرع الى الفرار وترك في بغداد احد نوابه واسمه « فرج » وتوجه اول الامر الى الموصل حيث استقباله فيها قره يوسف الذي انسحب اليها من ديار بكر وقررا سوية اللجوء الى الدولة العثمانية . وقد استقبلهم سلطانها بايزيد « يلدرم » واقطع الاول مقاطعة كوتاهية والثاني مقاطعة آق شهر. (٩٢) .

استعد الامير فرج نائب السلطان احمد للمقاومة ، وكانت الاوامر التي لديه تتلخص بعدم المقاومة ازاء تيمور نفسه . وقد تمكن فرج من تحشيد عدد كبير من مقاتلي العرب والتركمان تحت قيادة بعض امراء المدن العراقية امثال علي قلندر الذي قدم بقوات مندلي ، وجاء أحمد الذي قدم بقوات بعقوبة ، وفرح شاه حاكم الحلة ، وميكائيل حاكم السيب (٩٣) وصار عددهم ٣٠٠٠ مقاتل ، فاستعدوا لمواجهة الغزاة وزحفوا نحو بغداد . اما الجيش الذي اعده تيمور فقد قدر بعشرين الفاً ، واسند قيادته الى مجموعة من القادة . وقد تحرك الجيش التيموري عبر ديار بكر سنة ١٤٠١ ووصل بعد ذلك الى بغداد وعسكر في القسم الجنوبي من الجانب الغربي لبغداد (٩٤) وقد اشتبكت القوات العراقية بالقوات التيمورية في معركة قرب عمارة السلطان أحمد (٩٥) انكسرت فيها القوات العراقية وانسحبت لتتحصن داخل بغداد . وقد بذل فرج جهوداً جبارة للدفاع عن المدينة ، ورفض التسليم الالتيمور نفسه .

(٩٢) شرف خان البدليسي ، الشرفنامة ، ترجمة محمد علي عوني ، ج١ (القاهرة ١٩٥٨) ص ٠٩٧.

(٩٣) بلدة جنوب مدينة الحلة .

(٩٤) مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٩٥) وتقع جنوب الكرخ .

جرت مفاوضات بين الطرفين . مثل فيها الجانب البغدادي الشيخ بشر من محلة الامام الاعظم ابي حنيفة الذي تأكد من شخصية تيمور واقسم لفرج على المصحف بذلك . ولكن البغداديين اصروا على المقاومة بعد أن انكر قائدهم فرج حضور تيمور مع القوات المهاجمة (٩٦) ، ويبدو انه فعل ذلك لكي يحافظ على ثبات الجبهة الداخلية لبغداد . لان اشاعة وجود تيمور مع المهاجمين تثير الرعب في نفوس البغداديين ، وتنزع الامل من نفوسهم في احراز النصر . وقد افلح فرج في خطته . (٩٧)

شدد تيمور من قبضته على بغداد . فاستغل وقت الظهيرة وهاجم المدينة واقتحم اسوارها . وقد دام الحصار اربعين يوماً . وقد حلت بالمدينة كارثة اعظم من كارثتها الاولى وكان ذلك يوم السبت ٣٠ حزيران سنة ١٤٠١ ويبدو أن الحصار الاقتصادي الذي فرضه تيمور . وقلة الاقوات في المدينة ، ولعامل حرارة الجو وتراخي واهمال البغداديين في اثنائه في الدفاع عن الاسوار كان له اثره في سقوط المدينة (٩٨) .

وبعد أن اتم تيمور اخضاع بغداد قرر استعادة نفوذه في المناطق العراقية الاخرى ، فارسل عام ١٤٠١ الخان سلطان محمود وميرانشاه وخليل سلطان وشاه ملك على رأس قوة عسكرية الى الحلة وتمكنت هذه القوة من اخضاع المنطقة الواقعة بينها وبين النجف . (٩٩) اما النجف فقد سلمت من النهب والدماء بفضل مساعي وفد نجفي برئاسة احد ابنائها السيد محمد مفتاح قابل تيمور في بغداد (١٠٠) . وقد واصلت القوات التيمورية زحفها نحو واسط

---

(٩٦) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
(٩٧) مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .
(٩٨) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
(٩٩) مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٦٥ .
(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

واكتفى تيمور باخضاع مدن الفرات الاوسط ثم قفلوا راجعين وهم محملون بالغنائم (١٠١) .

الحق تيمور العراق بالجزء الغربي من امبراطوريته مرة ثانية ، وكان ابنه ميرانشاه حاكماً على هذا الجزء . كما عين عدة ولاة في مدن العراق كما جعل بايندە حاكماً على بعقوبة وسيد أحمد اويرات على منطقة حربي وتوابعها الواقعة الى الجنوب من تكريت . وعين ايضاً الامير جلال اسلام مسؤولا عن الشؤون المالية في بغداد ، واسند حكم الموصل الى امير تركماني يدعى حسن ابن حسين بك ليتصدى لقره يوسف اما بغداد فقد اسند حكمها الى حفيده ابي بكر (١٠٢) .

لقد اتجه تيمور بعد ذلك الى آسيا الصغرى لتصفية الحساب مع العثمانيين وكان من اسباب صدامه معهم الدور الذي لعبه الامراء اللاجئون اليه امثال السلطان احمد وقره يوسف . اضافة الى ان تيمور امر باعدام طغرل الابن الاكبر لبايزيد (يلدرم) عند احتلاله سيواس . وقد ارسل تيمور الى بايزيد رسولا يطلب فيه تسليم قره يوسف وكتب له « اننا لا نريد داراً للسلام مثل بلاد الروم مضطرب امرها ، عند غزوى وتعرضي لها ، فاعط مفتاح قلعة كماخ — مدينة من بلاد الروم وتقع بالقرب من اذربيجان لاعواننا ولا تضيق على نفسك العالم الفسيح لان قره يوسف ذلك الشرير ليس الا قاطع طريق (١٠٣)

تطورت الامور ، وتلاقت جيوش تيمور بجيوش بايزيد في سهل انقرة سنة ١٤٠٢ . وكان للحرب النفسية التي شنها تيمور على العثمانيين دور كبير في تمزيق صفوفهم فالتجأ قسم منهم الى تيمور . كما أن بايزيد — على مايبدو — لم يكن قد اخذ اهبة الاستعداد الكافي فهزم واسر سنة ١٤٠٢ ثم مات في الاسر .

---

(١٠١) Sherefedden Al: Al-Yazdi, Zefer Nama, tr: to English by Darby , Vol, 3 (London, 1723), P. 217

كما ورد في مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

(١٠٢) مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٧٠ . وكذلك نوري ، المرجع السابق ، ٦٤ .

(١٠٣) البدليسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٧ .

لقد استفاد السلطان احمد من تلك الاحداث ، ومن الفراغ الذي احدثه انسحاب تيمور الى بلاد الاناضول فسارع مع عدد من اتباعه الى العودة الى العراق فاستولى على بغداد ونصب عليها ابنه طاهراً نائباً عنه في الحلة. والمناطق المجاورة لها . شهدت الفترة بين ١٤٠١ — ١٤٠٥ صراعات متداخلة بين السلطان احمد وابنه طاهر وبين السلطان احمد وعدد من اتباعه . وبين السلطان احمد وقره يوسف ففي الوقت الذي تعاون فيه السلطان احمد مع قره يوسف . الذي تكونت له قوة كبيرة من القبائل التركمانية استقر بهم في صحراء هيت ، ضد عدد من الامراء الذين استقطبهم ابنه طاهر امثال حكام ارمي(١٠٤)ومندلي والسيب والحلة نجد ان السلطان احمد اخذ يحس بوطأة مساعدة قره يوسف ، ويبدو أن قره يوسف شك بنواياً السلطان احمد فاسرع الى احتلال بغداد . اما السلطان احمد فقد هرب في ٢٦ / تموز ١٤٠٣ الى تكريت ومنها الى الشام حيث دخل في صورة فقير (١٠٥) .

لم تبق بغداد في يد قره يوسف اكثر من ثلاثة اشهر فما أن انتهى تيمور من تامين الجبهة الغربية لامبراطوريته بانتصاره على بايزيد في معركة انقرة ، كما اسلفنا — حتى قرر مواجهة حركة استرداد العراق فحشد اربع فرق عسكرية اعدها في جبهات مختلفة ، كانت الاولى بقيادة بوندق والثانية بقيادة ابي بكر والثالثة بقيادة كل من سلطان حسين وخليل سلطان والرابعة بقيادة بير محمد . (١٠٦)

اتجهت الفرقة الاولى من تبريز الى الجزيرة وكردستان وهاجمت القبائل الكردية في شمال العراق حيث اعلنت هذه القبائل تنصلها من الخضوع للسلطة التيمورية فهناك اشارات تدل على تمرد حاكم اربيل المسمى عبدالله على الغزاة . وكذلك القبائل القاطنة بالقرب من سهل شهرزور . اما الحملة الثانية فقد

(١٠٤) ارمي مدينة تقع جنوب غرب بغداد .
(١٠٥) ابن الشحنة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(١٠٦) لتفاصيل هذه الحملات انظر : مهاوي المرجع السابق ، ص ٣٨٠-٣٨٣ .

اتجهت من همدان الى بغداد ، والثالثة من الموصل بطريق جمجمال الى مندلي واتجهت الرابعة من خوزستان نحو واسط لاخضاع قبيلة عبادة التي استولى شيخها اويس على واسط وضواحيها (١٠٧) .

حققت هذه الفرق اهدافها المرسومة لها ، واستعادت بغداد من قره يوسف سنة ١٤٠٣ وقد هرب قره يوسف الى الشام كصاحبه السلطان احمد . واسند تيمور حكم العراق لحفيده الميرزا ابي بكر (١٠٨) . وامره على أن يعمل على تهدئة السكان ومساعدتهم على اعادة تشييد بيوتهم وزراعة اراضيهم . وقد كللت جهوده بالنجاح نسبياً اذ عاد جمع كبير من سكان بغداد الفارين الى مدينتهم وبدأوا بتعميرها ومزاولة نشاطهم فيها . (١٠٩) ويبدو ان ابا بكر استطاع ان يعيد العمران الزراعي الى قسم من الاراضي ويؤيد ذلك كثرة الاراضي الزراعية في بغداد والحلة وكربلاء التي جعلت وقفاً للمراقد السنية والشيعية (١١٠) .

كما استطاع ابو بكر ان يوجد نوعاً من الاستقرار السياسي النسبي ويشيع الامن على طريق المواصلات ومما يؤيد ذلك سفر قافلة كبيرة من الحجاج العراقيين الى الحجاز لاداء فريضة الحج بعد أن انقطع العراقيون عن ذلك منذ الغزو التيموري الاول سنة ١٣٩٣ (١١١). كما قامت قوات تيمور بمطاردة القبائل الكردية التي تتعرض لقوافل التجارة في المناطق الجبلية ، وصار بمقدور رجل او رجلين ان يسافرا بأمان . وقامت هذه القوات ايضاً بمهاجمة القبائل العربية التي تتعرض لقوافل التجارة والحج في الجنوب ووضع قوات كافية في واسط للمحافظة على الامن والسيطرة على هذه القبائل . لهذا فقد نشطت التجارة خلال هذه الفترة (١١٢) .

---

(١٠٧) المرجع نفسه ، ص ٣٧٣–٣٧٦ .

(١٠٨) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨–٢٠٩ .

(١٠٩) خليل ، المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(١١٠) المرجع نفسه ، ص ١٢٠ وكذلك انظر مهاوي ، المرجع السابق ص ٣٨٣–٣٨٤.

(١١١) المقريزي ، السلوك ، ج٣ ، ق٣ ، ص ١١٦٦ .

(١١٢) انظر خليل ، المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

سقوط الدولة الجلائرية :

عندما هرب السلطان احمد الى الشام القى النائب المملوكي القبض عليه وهو في طريقه من حلب الى دمشق حسب مرسوم من السلطان المملوكي وذلك وفقاً لبعض شروط الصلح الذي تم بين تيمور والمماليك (١١٣) .

كما القى القبض على قره يوسف بموجب المرسوم نفسه . وبعد ان سمع النائب المملوكي بموت تيمور في ١٩ شباط سنة ١٤٠٥ اطلق سراح السلطان احمد الذي كان معتقلا في برج السلسلة . كما اطلق سراح قره يوسف الذي كان معتقلا في برج الحمام (١١٤) . فالتقى الاثنان وتعاهدا وتصالحا (١١٥) . وتحالفا على ان تكون تبريز لقره يوسف وبغداد للسلطان احمد (١١٦) .

لقد ساعد اضطراب الوضع في بلاد الشام نتيجة الثورة التي نشبت هناك ضد السلطان المملوكي فرج .

وكذلك موت تيمور احمد جلائر وقره يوسف على التحرك من الشام مع بعض اتباعهما ومواصلة نشاطاتهما مرة اخرى في العراق واذربيجان لازاحة النفوذ التيموري . وفي ١٦ حزيران ١٤٠٥ (١١٧) . خرج السلطان احمد من دمشق متوجهاً الى العراق . وقد وصل الحلة واستطاع ان يجمع حوله عددا من اتباعه الذين ازداد عددهم في أثناء زحفه الى بغداد . ولما وصل خبر زحفه الى بغداد تمرد سكانها على الوالي التيموري دولت خواجه ايناق ، فاضطر هذا الى الانسحاب الى فارس (١١٨) فدخلها السلطان احمد الجلائري

---

(١١٣) البدليسي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٨٨

(١١٤) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ٢ ص ٢٦٤ .

(١١٥) السخاوى ، المصدر السابق ، جـ٥ ص ٢١٦ .

(١١٦) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(١١٧) مهاوى المرجع السابق ، ٤١٥ .

(١١٨) الدزاوي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

بدون مقاومة في ٤ تموز ١٤٠٥ (١١٩) .

مكث السلطان احمد في بغداد زهاء خمس سنين ، قرر بعدها التوجه نحو تستر . وعين احد الاشخاص نائباً عنه في بغداد ، فغضب ولده علاء الدولة مسعود حاكم الحلة . فثار عليه ، بالاتفاق مع كيمرز بن شيخ ابراهيم الشيرواني حاكم الدربند واتجه الى تبريز (١٢٠) . اما قره يوسف فكان في ارزنجان ، ولم يكن في تبريز سوى داروغا (١٢١) . وثلثمائة نفر من اتباعه . وقد استطاع الداروغا ان يقبض على الدولة واتباعه بعد خدعة واحضر علاء الدولة الى الامير قره يوسف حيث سجنه . وقد ارسل السلطان احمد الى قره يوسف يعتذر عما بدر من ولده ، وطلب منه اطلاق سراحه ولكن قره يوسف رفض ذلك معتقداً ان السلطان احمد هو الذي ارسل ابنه . وبعد ان فشل السلطان احمد في مساعيه لاطلاق سراح ابنه قرر غزو تبريز . فجمع جيشه وعند مشارف تبريز التقى الطرفان في آذار ١٤١٠ . وكانت النتيجة ان انتصر قره يوسف وهرب السلطان احمد والقى بنفسه في بستان مجاور ولكن امره كشف واخبر قره يوسف بذلك فالقى القبض عليه (١٢٢) . وعند قره يوسف كتب تنازله عن بغداد لقره محمد بن قره يوسف . ولم يشأ ألامير قره يوسف قتل السلطان احمد الا ان بعض الامراء ومنهم محمد الدوادار الحوا على قتله فاخذوه وخنقوه خنقاً (١٢٣) .

حاصر الامير قره محمد بغداد ، وكان فيها نائب السلطان احمد وهو بخشايش والذي لم يصدق بموت السلطان احمد واستمر على الخطبة له وقد حاول بخشايش

(١١٩) الغياثي ، المصدر السابق ، ١٣١ .
(١٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٣١ — ١٣٢ خليل ، المرجع السابق ، ص ١٢ .
(١٢١) داروغا : الرئيس او الحافظ ، وهو في سلطته اشبه بالحاكم السياسي او العسكري في مصطلح اليوم ، انظر : العزاوي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠١ .
(١٢٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

أن يتزوج من دوندي خاتون ولكنها تخلصت منه بمؤامرة دبرتها ضده وقتلته وسيطرت على الامور واشاعت بان السلطان احمد لايزال حياً . (١٢٤) لذلك اصر البغداديون على المقاومة وطالت مدة الحصار ، واصبح عبدالرحيم ابن الملاح حاكماً على بغداد ، واعيدت الخطبة باسم السلطان احمد ويبدو ان دوندي عجزت عن المقاومة وضبط المدينة ، فما كان منها الا انسلت ليلا متجهة الى واسط ثم الى تستر . وعندما اصبح الصباح علم الناس بالامر فدخل الشاه محمد بغداد وكان ذلك يوم الخميس ٣ كانون الثاني ١٤١١/ ٨١٤هـ جمادى الاول وبذلك انتهت الدولة الجلائرية واصبح العراق جزاء من دولة جديدة تركمانية هي دولة القره قوينلو . (١٢٥)

لابد وان للاحداث السياسية والعسكرية التي تعرض لها العراق في عهد السلطان احمد الجلائري اثراً كبيراً في تدهور الاوضاع العامة (١٢٦) فقد كان للصراعات المتكررة على العراق بين الجلائريين والتيموريين من جهة وبين الجلائريين انفسهم من جهة ثانية وبين الجلائريين والتركمان من جهة ثالثة انعكاسات سلبية على مستوى السكان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . فقد استنزفت امكانات العراق الاقتصادية ووجهت لخدمة العناصر المتصارعة وليس لخدمة السكان ورفع مستوياتهم .

(١٢٤) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج٢، ص ٤١٦ .

(١٢٥) عبدالكريم غرايبة ، العرب والاتراك ، (دمشق : ١٩٦١) ، ص ١٩٤ .

(١٢٦) يشير الباحث نوري عبدالحميد خليل في رسالته المشار اليها الى تقلص مساحة الاراضي الزراعية وقلة الانتاج ، ومعاناة السكان من الجوع والقحط والمرض والاوبئة في سنوات عديدة؛ والى تدهور النشاط التجاري وركوده ، والى فقدان السلطة والامن ، والى قلة موارد الدولة ولغرض تهيئة القوات العسكرية اللازمة في اوقات الخطر والى شيوع الاقطاع بانماطه المختلفة وخاصة من نوع الاستغلال والتمليك والسيورغال (اي منح السلطان الارض لاحد ابناء الاسرة او لاحد ابنائه يعيش على مواردها بدلا من الراتب) ويشير كذلك الى ان الجلائريين لم يشركوا سكان العراق في ادارة بلادهم . ويضيف بان العشائر العراقية ظلت تتمتع بالاستقلال ومع ان الحكومه تمكنت من كسب بعضها ، لكن ولاءها ظل سطحياً . ولكنه ينوه بأن العهد الجلائري لم يخل من محاولات اصلاحية ولكن قلة الامكانات المادية والبشرية حالت دون نجاحها . انظر : صفحات ١٦، ٤، ٣٣٢-٣٣٨ ، ٤١٥ .

المصادر والمرجع

١ ـ المطبوعات العربية : ـ

ابن اياس : ابو البركات محمد بن احمد الحنفي (ت ١٥٢٣) . بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ١ ، (القاهرة ، ١٣١١) .

ابن بطوطة : محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ١٣٧٧)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، جـ١ ، (القاهرة ، ١٩٣٨) .

ابن تغري بردي : ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ١٤٦٩) النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة ، جـ١٣ (القاهرة ١٩٧٠).

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق احمد يوسف نجاتي ، جـ١ ، (القاهرة ١٩٥٦) .

ابن حجر : احمد بن علي العسقلاني ، (ت ١٤٤٨) . انباء الغمر بابناء العمر في التاريخ ، جـ١ (القاهرة ، ١٩٦٩) .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ١٤٠٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ (بيروت ، لا . ت)

ابن عربشاه، احمد بن محمد بن محمد عبدالله الدمشقي، (ت١٤٥١) ، عجائب المقدور في اخبار تيمور (القاهرة ، ١٣٠٥) .

ابن الشحنة ، ابي الوليد محمد بن الشحنة (ولد ١٣٩٨) روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر هامش كتاب الكامل لابن الاثير ، جـ١٢ ، (القاهرة ، ١٢٩٠)

ابن الفرات : محمد بن عبدالرحيم (ت ١٤٠٥) تاريخ ابن الفرات ، تحرير، البدليسي قسطنطين جـ١ (بيروت ، ١٩٣٦).

شرف خان (ت ١٥٩٧) ، الشرفنامة ، ترجمة محمد علي عوني ، جـ١ (القاهرة ، ١٩٥٨) .

جواد مصطفى واحمد سوسه . دليل خارطة بغداد . (بغداد . ١٩٥٨) .
الحموي : شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان جـ١ (بيروت ١٩٥٥) .
خليل، نوري عبدالحميد، العراق في العهد الجلائري ١٣٣٧ — ١٤١١ ، رسالة ماجستير قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٦ . وهي غير منشورة.
السخاوي : شمس الدين بن عبدالرحمن . الضوء اللامع لاهل القرن التاسع . (ت ١٤٩٧) جـ٥ . (بيروت . لا . ت) .
سليم ، محمود رزق . عصر سلاطين المماليك . ٣ اجزاء . (القاهرة، ١٩٦٢) .
العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٢ (بغداد ، ١٩٣٦).
غرايبه ، عبدالكريم : العرب والاتراك . (دمشق ، ١٩٦١) .
الغياثي ، عبدالله بن فتح الله البغدادي (كان حياً سنة ١٤٧٨) التاريخ الغياثي ، تحقيق طارق نافع الحمداني ،(بغداد) ١٩٧٥) .
القرماني . ابي العباس بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت١٦٦٠). أخبار الدول وآثار الاول ، هامش كتاب ابن الأثير . (القاهرة ، ١٢٩٠).
القلقشندي . أحمد بن علي بن ابي اليمن القاهري الشافعي(ت١٤١٨)صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء (القاهرة ، ١٩٦٣) .
لامب ، هارولد ، تيمورلنك ، تعريب عمر أبو النصر . (بيروت ، ١٩٣٤).
مرتضى . نظمي زادة أفندي(ت١٧٢٤) كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس . (النجف ، ١٩٧١) .
المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي . (ت١٤٤١)السلوك لمعرفة دول الملوك جـ٣ . (القاهرة ١٩٧٠)
مهاوي ، جاسم . تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام واثاره السياسية ١٣٨٥ — ١٤٠٥ ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث قدمت لجامعة بغداد، نيسان ١٩٧٦ وهي غير منشورة .

اليوسف ،عبدالقادر أحمد ،علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، (بيروت ،١٩٦٩)

٢ — المطبوعات الفارسية : —

الاسترابادي ، عزيز بن اردشير ،بزم ورزم ، نشر محمد فواد كوبريلي، (استانبول ١٩٢٨) .

خوندمير ،غياث الدين بن همام الدين ، دستور الوزراء(طهران١٣١٧)وكذلك حبيب السير ،٤ أجزاء (طهران ، ١٣٣٢) .

٣ — المطبوعات التركية :—

جهانكير ،زينل اوغلو ، اذربيجان تاريخي (استانبول ، ١٩٢٤) .

٤ — الكتب الانكليزية : —

(Elgood ,Cyril, AMedicul History of Persia and the Eastern Calphate' (Cambredge, 1951)

Howorth, U: U: History of the Mongols, Vol, 3 (london, 1888):

٥ — دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة العربية ، (القاهرة ١٩٣٣) .مادةحسن بزرك أحمد جلائر قلعة النجف ،سلطانية .وكذلك دائرة المعارف الاسلامية الطبعة التركية ج٣ ، مادة (جلائر) .